وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

أعلى من شجر القلب

شعر



محمد وحيد علي

من الشعر العربي ١٨٨

أعلى من شجر القلب

الإشراف الطباعي

م. ماجد الزهر

محمد وحيد علي

أعلى من شجر القلب

شعر

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٠

من الشعر العربي

«١٨٨»

ماذا يقول النهر ؟

سُحُبٌ تَمُورُ وتنْطفي

وتدورُ أشْواقُ السّنا في

البَيلسَانْ ...

والرُّوحُ يُطْلقُها إلى تلكَ البراري

طائرانْ ...

في ضفّةِ النَّهْرِ الْتقينا

كانَ يعْرِفُني

ويومئُ لِيْ :

بأنَّ النَّهْرَ يُشْبِهُنا

ويَمْضي دونَما هَدَفٍ

وإنَّا مثْلُهُ

مُتقَاربانْ ...

في الْمَاءِ وَجْهي ،

وجْهُهُ جِهةَ البراري

شاردٌ ...

مِنْ أينَ ينْبعُ ذلكَ

النّورُ الْمُبدَّدُ

بينَ نايات الجبالِ

وبينَ نايِ النَّهْرِ

إذْ يَمْشي معي ،

ويسيرُ بِيْ

نَحْوَ النّهايةِ

مَرْكباً في التّيهِ

بَعْثرَهُ الزَّمَانْ ...

أنا ذلكْ الطّفْلُ الْمُضيءُ

يسيرُ في طينِ الحقولِ

مُسائلاً روحي :

متَى جنيّةُ النَّعْناعِ تَظْهرُ

كي تُلَبّي ما أُريدُ ؟ ...

أُريدُ أُمّي

كي أُخبّئَ بينَ ضحْكتِها

وبينَ الشَّمْسِ

وجْهي ...

ها أنا ،

أنا مرْكِبي الوَرقيُّ

فوقَ النّهْرِ

هذا النّهْرُ يسْحرُنِي ،

ويأْخذُنِي إلى أمْسٍ ،

إلى زمنٍ يَجيءُ

كما يُريدُ ...

وقامَتِي كالرّيحِ

إنْ هبّتْ بذاكرَتِي

تَصاويرُ الطّفولِة

أو طويتُ النَّومَ

في سَهَرٍ
ولَمْ أحْفلْ
بشمْسٍ شابَهتْ أُمّي
لأصْعدَ خطْوةً أُخْرى
وتضْحكَ في دمائي ورْدتانْ ...
فلقدْ كَبِرْتُ كفايةً
حتّى أموتَ كما أُحِبُّ ،
وهذهِ السّمواتُ مرآتِي
أنا مرآتُها أيضاً
لِمَا لا تُطْبقُ الغَيْماتُ
فوقَ الْمَاءِ
كي تَتكسّرَ القَسَمَاتُ

في وَجْهي ،
ويرْجعَ ذلكَ الطِّفْلُ الْمُتيَّمُ
والْيَتيمُ
إلى براريهِ الحزينةِ
غانِمَاً كنْزَ الطِّفولةِ ،
واثقاً أنّ الْمَدى
سيكونُ أجْملَ منْ جنانْ ...
صَفْصافةٌ عبَرَتْ ،
وكانَ النَّهْرُ يرْكضُ دونَهَا
والْمَرْكبُ الْهَيْمانُ يَعْلقُ
بينِ شَعْرٍ
مثْلُهُ ذَهَبُ القلوبِ

إذا اسْتحمّتْ بالسّنا ،

وتعطَّرتْ مِنْ ماءِ كوثرِها

مَشَاتلُ أُقْحوانْ ...

صَفْصافةٌ تَحْنو ،

فيَحْملُ صَدْرُها نَجْمينِ

يَصْطفقانِ

فوقَ الْمَاءِ ،

أو حَجَلينِ

يأْتلفانِ في ولَهِ الْمياهِ

ويَجْفلانْ ...

فتطيرُ قُبّرةُ الحقولِ

إلى أغانيها

وتلْتمُّ الفراشاتُ التي

صَعَدتْ

مِنَ النَّفَسِ الزَّكيِّ

وكفُّها طارتْ

تُغطّي مشْتلَ الأزْهارِ

والبَرْقِ الْمُولّهِ بالْحَنانْ !...

صَفْصافة ،

أو غيمةٌ تبْكي

كأنَّ النّهرَ طافَ

وأغْرقَ الأطْيارَ

في مرآتهِ ...

والطّفْلُ

لَمْ يدْخلْ حدائقَ ورْدهِ

إلا لِيُشْعلَ خوفَهُ

ويضيءَ أوْردةَ الْمَكَانْ ...

كمْ هذهِ الذّكْرى طيورٌ

تعْبرُ الفلَوَاتِ سابِحَةً

كوَمْضِ البَرْقِ

يَظْهرُ لحْظةً

ويغيبُ ...

ماذا في يديهِ الآنَ

كي يَتلمَّسَ السّحُبَ

البعيدةَ

والقريبةَ ؟...

أينَ غابتْ كالنَّدى

صَفْصافةُ النّهْرِ البديعةُ ؟...

أينَ راحتْ في الْمَدى

جنيّةُ النّعْناعِ ؟

والشّمسُ التي ،

في راحةِ الرؤْيا

تدورُ مع الطيّورِ

ويَصْطفيها كوكبانْ ...

يا نَهْرُ !

أنْزِلْني

إلى أرْضي

أَعِدْ وَجْهي

لأَنْظرَ عالياً

أعْلى منَ الغَيمِ الْمُكَسَّرِ

فوقَ مائِكَ ...

ها يَدِيْ

تَمْشي أمامَكَ ...

مثْلَ نَهْرٍ

دلَّهَا ،

لتَميسَ أيضاً

بالفراشات البهيجة

أو لتلْمسَ ،

سحْرَ هاتيكَ الأُنوثِة

تستْحمُّ بعطْرِكَ الأخَّاذِ

خُذْ قلْبِي إذا ما شئْتَ

مثْلَ حَمامةٍ تَهْفو

لتلْحقَ آخرَ الطَّيَرَانِ

يا نَهْرُ اتَّئدْ ...

ها نحنُ مُشْتعلانِ ، مُشْتبكانِ

تُشْبهُنِي

وأُشْبهُ ماءَكَ الفتَّانَ

إنِّي فاتحٌ للرّيحِ أوْردتِي

أُلوِّحُ في وداعكَ مهْجتِي ...

والقلْبُ يصْرخُ : أنّنا

يا نَهْرُ نَسْبحُ في الْمَكانِ ،

وفي الزَّمَانْ ...

جرِحُ ليلى وقَبِرُ السّيّاب

جرْح ليلى

جرْحُ ليلى شَجَنْ ...

جرْحُها

شَجَرٌ يَتَطاولُ

في الغَيمِ ،

خيطٌ من الْبَرْقِ

يذْرفُ آهاتهِ

نَجْمةً

نَجْمةً

ويُمزّقُ عنْ شمْسِ بَغْدادَ

لونَ الكَفَنْ ...

جرْحُ ليلى جروحٌ

على الأرضِ :

مِنْ مائِها العَذْبِ

حتّى محيطِ الْمِحَنْ ...

مِنْ يَدينِ

على الرّمْلِ

تشْتعلانِ

إلى مُدُنٍ تَتَهاوى

وسيلٍ

مِنَ الْمَوتِ والإنْطفاءِ

يهدُّ السَّنا والفَنَنْ ...

مَنْ رأى طيفَ ليلى

على بابِ بَغْدادَ

تَسْأَلُ أَبْناءَهَا

مزْقةً مِنْ ثيابٍ

لتَسْترَ عُرْيَ البَلَدْ ؟...

مَنْ رآها ،

تُسائلُ عنْ وَرْدةٍ

قَبْلَ موتِ الرّبيعِ

تُزيّنُ بَرْقَ الجَسَدْ ؟ ...

إنّ ليلى تَمُوتُ

على مَفْرقِ الشَّمْسِ ،

قبْلَ الغروبِ الأخيرِ

وتُفَّاحُها ،

شَهْقةٌ مِنْ دَمارٍ

ولَمْ يَبْكِ قَيسٌ عليها

ولَمْ يُشْعلِ الضَّوءُ

أعْنابَها في الخريفِ

ولَمْ يَعْتصرْها أَحَدْ ...

جُرْحُ ليلى

يُمزّقهُ العتْمُ

والإحْترابُ ...

وليلى

كزهْرِ الصّباحِ

تقومُ مِنَ الليلِ

ساطعةً

في الأبَدْ ...

* * *

قَبْرُ السّيّاب :

ساكنٌ قَبْرُهُ ،

ساكنٌ ،

هادئٌ

ويضيقُ بسَاكنهِ

والقصائدُ

مثْلُ الفراشاتِ

مِنْ حولهِ

هائِمَةْ ...

والبساتينُ

قامَتْ منَ النَّومِ

واغْتسلتْ بالصَّباحاتِ

أزهارُها السّاهِمَةْ...

أيّها البَدْرُ ! ...

قُمْ

فالفراشاتُ دَلّتْ عليكَ

وجيكورُ أرْحبُ

منْ نَهْرِ دجْلةَ

حين تعِدُّ دمُوعَكَ

والموتُ أقْربُ

مِنْ ورْدةٍ ،

أو وَريدٍ بنبْضِكَ

هذي الرُّؤى

كزَرَافاتِ لَيْلِكَ

فتّانةٌ

حالِمَةْ ...

* * *

سلامٌ على الشِّعْرِ

مَنْ كانَ يصْغي

لنهْرِ البُكاءِ المريرِ

يَمرُّ بروحكَ سيلاً

ويَخْرُجُ مِنْ قبّةِ الرّوحِ

زَهْراً جميلاً

يُبَدِّدُ وحْشتَنا ،

ويُنوّرُ خيباتنا

بالأمَلْ ؟ ! ...

ومَنْ كانَ يُرْسلُ

هذا الغَمَامَ الكثيفَ

يسدُّ به الرّيحَ

والموجَ

والأُمْنياتِ

ويقْصفُ ظهْرَ الجَبَلْ ؟

ومَنْ كانَ يُسْرفُ

بالضَّوءِ

والْجلَّنارِ

لِيَمْنحَ حمْلانَ راعيةِ السّهْلِ

طيفَ النّجومِ

ونَهْرَ القُبَلْ ؟ ...

ومَنْ كانَ يَمْضي

كنورِ النَّسيمِ ،

كشمْعٍ كسيرٍ

يشعُّ بأنْوارهِ

الباقياتِ

ويطْحنُ صَخْرَ الجنونِ

هوىً فاتناً

مُحْتمَلْ ؟ ! ...

ألا أيّها البدْرُ ! ...

ظَلَّ شريداً

مع النّخْلِ

والليلِ

والمُدُن الْمُسْتبيحةِ

وَالْمُسْتباحة

لا تكْترثْ

بالنَّشيدِ الذي

مالَ عنْ فرَسٍ

واسْتوى

في التّرابِ

وصارَ الرَّدى

يومَنا ،

خبْزَنا ...

صارَ دجْلةُ ينْكرُنا

إذْ يرانا ...

عُمينا

وبعْنا القلوبَ

وبعْنا الْمُقَلْ ! ...

فيا بَدْرُ ! ...

ظَلَّ بعيداً

كأنّكَ

ما مُتَّ يوماً

لنبْكيكَ

لكنّنا ،

نَحْنُ نَبْكي الوَطَنْ ...

* * *

كلّما مَطرٌ هزَّنا

مِنْ رقاد

صرَخْنا : مَطَرٌ ...

والعراقُ جريحٌ

وليلى ،

وآهاتُها

شَجَرٌ وشُمُوسٌ

غفَتْ تَحْتَ قوسِ الزَّمَنْ ...

كلّما لَهَبٌ

قامَ منْ صَرْخةٍ ... ،

كلّما غيمةٌ ،

صعَدتْ آهةً

مِنْ رئاتٍ

وغطّتْ شحُوبَ السّماءِ

كسرْبِ الطّيورِ

صرَخْنا : مَطَرْ ....

كلَّما مالتِ الأرْضُ

فينا

علَينا ...

وغطَّى الظّلامُ قناديلَنا

بالفِتَنْ ...

نَتَسَامى

كنَخْلِ العِراق

لنَرْفعَ سَقْفَ الوَطَنْ ...

*   *   *

متاهة

قَمَرٌ

يُفتّحُ في دمي

عبَقَ السُّؤالْ ...

واللَيلُ مَوّالٌ

وعشْبُ الليلِ يلْبسني

وتُرْسلُ أضْلعي

في التّيهِ

أُغْنيةَ الغَزالْ ...

وأنا الغَزالُ

وغابتي امْرأةٌ

بلونِ القَمْحِ

إذْ تَمْشي

إلى قلْبي

وترْفعُنِي إلى أحْلامِها ...

والضَّوءُ يَسْرقُ

مِنْ يَديها حبَّةً

ويصبُّ في روحي البَياضَ

معَ الخَيالْ ...

لا ورْدةٌ في الرّيحِ

تُشْبهُ وَجْهَهَا ...

وضياؤُها

في الغيمِ قنْديلٌ

إذا انْتَصفَ الْمَغيبُ

ولَمْ تَجِدْ في الرّوحِ

زنْبقَها

ليطْوَلَ قربَها ظُلِّي

ويجْمحَ في الْكَمَالْ ...

هي ما أُفسّرُ ...

أو أُضيّعُ

أو أَجنُّ

كمَنْ يُدحْرجُ قلْبَهُ شمْساً

إلى أعْلى الجبالْ ...

أنا لَمْ أزلْ في النّورِ ،

كلَّ حريقِها ورحيقِها

وأنا الفراشةُ

خلْفَها أمْشي

فيَخْتلطُ الصَّباحُ عليَّ

تَخْتلطُ الزُّهورُ

أكنْتُ زَهْراً في الفَراشةِ ؟

وهْيَ كانتْ في النّدى

أمْ كنْتُ في بسْتانِ رغبتِها

وَمِيضاً

أو صَدى

لوَجيبِ قلْبينِ اسْتحَمّا بالسّنا

وتبعْثرا ؟ ...

الليلُ نامَ

ولَمْ تَنمْ كالعشْبِ

يَمْرحُ فوقَهُ قَمَرٌ

ويَصْعدُ في الهضَابِ البيضِ

نَحْوَ غنائهِ ...

ومَضتْ قناديلُ الأُنوثةِ

في يديها

واسْتوتْ آهاتُها

نَخْلاً

وغَرّدَ طائرُ الرَّغباتِ

صبْحَ نشيدِها

فدخلْتُ أَسْرارَ التَّوهّجِ

والظِّلالْ ...

وأَنا الغَزالْ ...

يا مَنْ رأى حرّيَّتي

وشِبَاكَ روحي

خَلْفَ غابتِها الْمُضيئةِ

تكْتسيْ

نوراً

وتنْبضُ كالهلالْ ...

يا دمْعُ !

لا تكْبَرْ

لتصْبحَ بَحْرَ أسْرارٍ

يَمُوجُ

فتَرْتَمي فيه النَّوارسُ

إنَّما ،

دَعْ ملْحكَ الفتّانَ

في أرضٍ

ليصْعدَ لؤْلؤاً

ويُزيّنَ العُنُقَ الشَّفيفَ

وشامةَ العنَّابِ

فَوقَ رَبيعهَا ...

كمْ جيدُها بَجَعٌ

يُطلُّ

لتأْلفَ الغاباتُ

فتْنتَها ،

وتأْتلفَ الجهاتُ

إلى مُحبِّيها الذينَ

تَباعَدوا ،

في الأرضِ

والفلَوَاتِ

آنَ الرّيحُ تصْرخُ :

إنَّ هذا الليلَ طالْ ...

يا فَجْرُ !

غَرّدْ

وامْنحِ الأشْواقَ

بَعْضَ حضورِها

وتلطّفي يا شَمْسُ

إنْ مرّتْ بِهودجِها

فإنَّ لخطْوِها

تعْشوشبُ الصَّحْراءُ

والغيمُ النَّديُّ يلفُّها

ويصيرُ فوقَ رحابِها

زَهْراً

لتبْتهجَ الرّمالْ ...

أنا لَمْ أزلْ

في السرِّ بعْضَ نشيدِها

وأنا الذي ،

في الغابةِ العذْراءِ

مَصْلوبٌ على شَجَرِ السّؤالْ ...

وأنا الغزالْ ! ...

الصّبْحُ يكْرجُ

في دمي عبَقاً ...

ويَمْنحُنِي بنفْسجَها سَنىً

لأفكَّ عنْقوداً

على أغْصانِ هذا الضّوءِ

مَالْ ...

وأزاحَ عنْ بَصَري غَمَاماً

كنتُ أحْسبُهُ مدىً ،

شَجَراً

وأحْصنةً

تَصَاهَلُ في السّنينْ ...

ما زلْتُ أحْلمُ

أنْ أضيئكِ لَحْظةً

وأفرَّ مِنْ موتِي

إلى بريّتِي الخضراءِ ...

أوشكُ أنْ أموتَ

كما يَمُوتُ العاشقونَ

مُضرّجينَ بعشْقِهمْ وحنينِهمْ

لكنّني كالرّيحِ

أصْغي هامساً للنَّايِ

أنْ يلدَ الأغانِي

والْمَراثي ...

مثْلما مَطَرُ السّماءِ

أذوبُ مِنْ أَلَمٍ

وأصْعدُ ثانياً حبَقاً

على مَدِّ الأَنينْ ...

وأثورُ ...

لا بَحْرٌ ليأْخذَنِي على موجٍ

ولا سُفنٌ لتجْلوَ ما تَراكمَ

مِنْ لَظَايَ

ولا جِمالَ تَمُوجُ في الصَّحْراءِ

تَحْملُنِي إلى قلْبِي

وتُرْجعُنِي إلى نَبْعِ الحَنينْ ! ...

أنا ها هُنا ،

في غابةٍ أهْوي

وأنْهضُ في أَسَايْ

والرِّيحُ تأْخذُنِي

إلى أرْضي ،

إلى أقْصى النَّخيلِ

أقولُ : ها جَسدي صهيلٌ

أو صلاةْ ...

وأُبعْثرُ الآهاتِ نَجْماتٍ

تَصَاعَدُ مِنْ دَمي شُهُباً

وتَرْميني

إلى نَهْرِ الحيَاةْ ...

* * *

أعلى مِنْ شجر القلب

لِلْغبْطةِ أطْيافٌ

تَشْدو

في طَبَقِ البلّورْ ...

لِلْغبْطةِ طَيفٌ

في الْمَاءِ

وطَيفٌ في النَّارِ

وطَيفٌ في الأشْجانِ

يَراهُ الْمُبْصرُ شوقاً

وَيَراهُ الحالِمُ فسْحةَ نُورْ ...

لبساتين اللوزِ

أُهيّئُ أشْرعةَ القلْبِ

وأنْفضُ عنْها النّومَ

وأرْتالَ الدَّيْجُورْ ...

لبساتينِ اللوزِ

روائحُ تُشْبِهُ

عطْرَ أنوثِتها ،

أنْفَاسَ الغَيثِ

إذا هَبَّتْ وَلْهى ،

ومَشَتْ عَبَقاً

في نَبْعٍ

والهدهُدُ غَرَّدَ

فِي حقْلِ الزَّيتونِ

يُشيرُ :

قَدِ انْطفأَ البُرْكانُ

هلمِّي

يا أطْيارَ الصّبْحِ الْمَسْحورْ !...

وأنا لا أُبْصرُ فِي نَفْسي نَفْسي

إذْ أنّي

علَّقَنِي الشَّغفُ الصَّيفيُّ

على غصْنٍ

يُورقُ خلْفَ فضَاءِ

الضَّوءِ ،

ويمتدُّ ليزْهرَ

في عَتْمٍ ...

ما كنْتُ أنا

لأمدَّ جروحي الْهَيْمانةَ

مثلَ حِبالٍ مِنْ مَطَرٍ

كي أرْفعَ صوتَكِ

في عشْبٍ يَنْمو

وأُعلّيهِ

إلى أُفُقٍ

وحُبورْ ...

هَلْ كنْتُ سوى نَفْسي ؟...

حزْنِي مُكْتملٌ

وجرُوحي أفْصحُ

منْ أرضٍ

وسمائي

تَسْبحُ فيها الطَّيْرُ

وترْفعُنِي ...

وسَمائي ضدَّانِ

مَعي

وعليَّ

إذا اكْتمَلَتْ

حَلقَاتُ النّهْرِ

أوِ الْتفّتْ كحبالٍ

وشوارعَ فارغةٍ ،

ودوائرَ مِنْ ضَجَرٍ

وفراغٍ يُشْبِهُ

صَمْتَ الليلِ الْمَهْجُورْ ...

لا أُشْبِهُ نَفْسي

أُشْبِهُهَا ،

إنْ غنّى الصّبْحُ

على صَمْتي

وتفتّحَ فوقَ ضفافي

ورَقُ النَّعْناعِ

وأزْهَرَ فيَّ الضَّوءُ

أغانِيَ

توصلُنِي نَحْوَ الغيمِ

فقلْبي مُشْتعلٌ

والرّوحُ تُسقْسِقُ

مثْلَ طيورْ ...

للرّيحِ

إذا اشتدَّتْ

أغنيةٌ ،

وحكاياتٌ تُبْرقُ

في ليلِ شتاءٍ طالَ

ولِيْ ،

أنْ أخْرجَ مِنْ نومي

وأُطَيِّرَ في الرّيحِ

قصائدَ روحي ...

أجْنحتِي وَرَقٌ

وجرُوحي شَجَرٌ

وهيامي أطْيارٌ

منْ مَطَرٍ يَهْمي

ليشكّلَ أنْهارَ دموعي

ودمي

ويبعثرَ أوهامي

في قَمَرٍ مَشْطورْ ...

في البَحْرِ وصايا للْبَحّارةِ

والسّفُنِ السّابِحةِ ،

التَّائهةِ ، الغَرْقى

لكنْ ،

ليسَ لهذي الرّوحِ

سوى أنْ تتحوّلَ

في الحزْنِ إلى شَفقٍ

وتعانقَ موجاً وغروباً

يترامَحُ في آخرِ أُفْقٍ

كالْخَيْلِ الْمَمْسوسةِ

أو كالبَرْقِ الْمَذْعورْ ...

كَمْ تُبْرقُ عيناها

فوقَ الْمَوجِ ؟ ...

فأَسْقطُ مغْشيّاً

في الشَّطِّ

على جَسَدي ....

وأكذِّبُ رحْلتَها

أُبْصرُ خَلْفَ الْمَوجاتِ

منازلَهَا :

قَصْراً مِنْ صَدَفٍ ومَحاراتٍ

فوقَ الْمرْجانِ

يَدُورْ ...

فأنا أطْفحُ فيها ،

منْها

وسَمائي مَلْعبُ أطْيارٍ

لتحطَّ عليهِ فراشاتُ الغبْطةِ

إذْ تَصْعَدُ

مِنْ زَهْرِ يديهَا

وتسابقُ أجْنحةً

مِنْ شَغَفٍ وزُهُورْ ...

غيّبْنِي يا بَحْرُ

إذا امْتدَّتْ

في الرّوحِ

مُوَيْجاتُ الشَّوقِ ،

وأشْعَلِني قَمَرٌ

يتلأْلأُ في مائِكَ ...

أو زَبدٌ غامَ وأَمْطرَ

في شاطئ حزْنِي الْمُمْتدِّ

إلى نَفَقٍ

أَطْوَل مِنْ مَوتٍ

غيّبْنِي في موجِكَ

كي ألْحَقَ نصْفَ جنُونِي ،

وسفائنَ لَهْفتِيَ المَهْجورةَ

في بَحْرٍ مَسْعورْ ...

أطْلقْ في الْمَوجِ

جيادي الخَضْراءَ

وحَرِّرْنِي

يا طَيْرَ النّورْ ! ...

* * *

بَحرٌ وسَمَاء

هيَ ومْضةٌ
فرشَتْ أصابعَها اشْتعالاً
في الجهاتْ ...
هيَ ما يُضيءُ القلْبَ
مِنْ مَعْنَى
وما يَسْتوطنُ الأفْلاكَ
منْ نارٍ
ومِنْ ضَوءِ الْلُغاتْ ...

أزْهارُها شَغَفٌ

وعيناها اتِّساعُ البَحْرِ

في تَحْديقةِ الرؤْيا

إلى أقْصى الحياةْ ...

اللَيلُ زنْبقُها البَديعُ

وموجُها دَمْعٌ

وإيقاعٌ يُردِّدُ :

إنَّ ضوءَ الفَجْرِ آتْ ...

* * *

هَلْ تذْكرينَ البَحْرَ

في صيفٍ نحيلٍ

مثْلِ خيطِ النَّاي

إذْ يَمْشي دَبيبَاً

في الْمَفاصلِ ،

مثْلما نَبْعٌ ترقْرقَ

وابْتدا قَمَراً

تنَزَّهَ فوقَ جسْمكِ ...

مثْلما رفُّ الطّيورِ

يضيءُ أُبّهةَ السّماءِ

ويَنْحَنِيْ

قوساً

على كتفِ الْحَنينِ ،

ومثْلما ،

تنْأى الغزالةُ

في براريها

وترْسمُ سُرّها حرّيّةً

ولْهَى

لعرْسِ السَّوسَناتْ ...

*   *   *

هلْ تذْكرينَ البَحْرَ

في صلَواتهِ الخمْسينَ

إذْ راقتْ مياهُ البَحْرِ

وَالْمَوجاتُ سارتْ خطْوتينِ

لكي تُصافحَ ماءَنا

وتَهُزَّ فَجْرَ الأُغْنياتْ ...

هلْ تذْكرينَ البَحْرَ

يدْخلُ في دمانا ...

حين روحُكِ طائرٌ ،

وفراشةٌ تأْتِي

وتنْهلُ من شذا الأشْواقِ

بعْضَ رحيقِها ...

وتروحُ عابقةً

إلى عرْسِ النَّباتْ ؟...

هلْ تذْكرين البَحْرَ ؟ ..

هذا البَحْرُ يُشْبهُني ويُشْبهُهَا

إذا ابْتَسمَتْ ،

بلونِ الْمَوجةِ الخضْراءِ

عيناها

وإن مَدّتْ مويجَ الضّحْكةِ

البيضاءِ أحْلاماً

وإنْ مالتْ

كغصْنِ الرّيحِ

والصَّفْصافِ

كفَّاها

وكان البحْرُ يَطْوي صمْتَها

ويغارُ مِنْ تَحْديقةِ

الشَّفتينِ

يصرْخُ : ها هُنا

قَمَرانِ خدّاها

ووجْهٌ طافحٌ بالنّورِ

يَسْقي الأُمْنياتْ ...

أيَظلُّ هذا البَحْرُ نوَّاراً

إذا انْطفأتْ سراجاتُ

الحياةْ ؟ ! ...

ودخلْتُ بَحْراً

كنتُ قدْ أغْرقْتُ فيهِ

مواجعي الخمْسينَ

كي أحْظى بنبْضكِ

حالمِاً ...

ونسيتُ أنَّكَ حينما تأْتينَ

قبْلَ الصّيف

أو بعْدَ الخريفِ

أكونُ مرْميّاً

على عشْبِ السَّماءِ

أُفتّشُ الأسْرارَ

عن شغَفِ الحريقِ

على يديكِ

وفوقَ روحي ...

هكذا تَمْضي الدّروبْ ...

دَرْبٌ إلى قَعْرِ الغيابِ

وكوَّةٌ كالبَرْقِ

يَجْمعُنا وينْثرُنا

على ضَوءِ القلوبْ ...

ونسيتُ ما يَهْمي

على روحي منَ الْهَيمَانِ

كنتِ كمثْلِ ظلّي

في الْمَساءِ

وكنتِ شَمْساً في نَهاري

كلَّمَا دانيتُ وجْهكِ

لَمَّني وَهَجُ الحريقِ

فلَمْ أَعُدْ ،

إلا لأَبْحثَ مِنْ جديدٍ

عن إيابكِ

أيّ ريحٍ سامَقتْ روحي

على قدِّ النّخيلِ

وقدْ تَنامى في هضابكِ ؟ ...

أيُّ ساقيّةٍ تَمرُّ

وقدْ تَمرْأتْ في شذاكِ

فضاعتِ الأشْواقُ منْها

مثْلَ ورْدٍ تائهٍ

يَهْفو إلى عَبَقِ السّماءْ ...

ونسيتُ أنَّكِ ومْضةٌ

تَعْلو على روحي

وتأْخذُني إلى

حَقْلِ الهيامِ

كأنَّني في التّيهِ سنْبلةٌ

تُساقطُ حَبّها

وتتوهُ في بريّةِ الرَّغباتِ ...

لا تَمْضي إلى دربٍ

يُلاقي موتَنا ...

ظَلّي وراءَ الغيمِ

ظَلّي كالخرافةِ

نصْفكِ السّحريُّ

منْ شَجَنٍ

ونصْفكِ منْ غناءِ الطّيرِ

يَمْشي في الدّماءِ

سحابةً

ويضيءُ ما أفْنَى الفَناءْ ...

ظَلّي هُنا قَمَراً

بعيداً

مثْلما كنتِ الضّياءَ

هُناكَ

حيثُ الغرْبةُ الصّمَّاءُ

تفْتحُ في يديكِ

جداولَ الأحْلامِ

تطْلعُ في الفَضاءْ ...

ونسيتُ أنَّكِ ها هُنا

ما زلْتُ أحْلمُ أنْ أرى عينيكِ

تفْتَتحانِ

ورْداً

في حَنِيني

يا إلهي أيّ عاصفةٍ رمتْها

هكذا ؟ ...

حتى غرقْتُ بِمَائِها

وسفحْتُ روحي

قرْبَ ضفّتها

إلهي ...

هلْ أنا تفّاحةٌ

أمْ أنَّها ثَمرُ السّماءْ ؟ ! ...

أمْ أنّ أرْضاً

ضمّتِ الأشواقَ بين

زهورها

وتَصاهلتْ كالضّوءِ

حين يَمسّهُ صبْحُ الرّغابِ

نَسيتُ ما أبْغي

وما تبْغي السّماءُ

إذا اكْفهرّتْ لَحْظةً

لتقولَ : للْبَحْرِ السّلامُ

لِيَ الْمَدى ،

وَجْهٌ من البَرْقِ

الحميمِ

يشدّنِي

نحو السَّفينةِ ...

فاعْتلوا موجي يقولُ البحْرُ

- لا تَمْضي بعينيكِ اللتينِ

بِخضْرةِ الأمْواجِ

نَحْوَ الأفْقِ

هذا الأفْقُ نارٌ

نصْفهُ بَحْرٌ

ونصْفٌ من رمالٍ

- أنْتَ تَسْكرُ دونَما خَمْرٍ

وتوغلُ في مياهي

- هكذا أدْنو

لألْمسَ في ضفافكِ

ماءَ روحي

- أنتَ تكْتبُ ما أُحِبُّ

وبينَنا هذا الجنونُ

- تمَسّكي ...

فأنا أطيرُ

وقدْ أمُوتُ إذا وقَعْتِ

فأنْتِ في جَسَدي فؤادي ...

هكذا ... تَمْضي السّحابةُ

ثمّ ترْجعُ بالْمَطَرْ ...

والليلُ خَلْفَ البَحْرِ

يَتْلو موجتينِ

على لقاءٍ بَعْدَ دَهْرٍ

مُنْتظرْ ...

- لا تنْطفئْ أرجوكَ

قلْ لِيْ : ما يضيئكَ هكذا

حتّى أعودَ ؟

- تَمَسّكي بدمي

فقلْبي خارجٌ

مِنْ لثْغةِ العصْفورِ

عنْدَ النَّبْعِ

قلْبي كانَ في برّيّةٍ

يَمْضي غزالاً

في بَهَاءِ الغابةِ العذْراءِ

لكنّ الأميرةَ أقْبلتْ

من آخرِ الفلَوَاتِ

قالتْ : حَسْبكمْ هذا الغزالُ

ولَمْ أزلْ

أمْضي لأُدْركَ

ما نَسيتُ من الحياةِ

وما أضعْتُ

كأنّي جَبَلٌ مِنَ التَّوهَانِ

أوْغَلَ في الصّعودِ

إلى الهوى

حتّى انْفَطَرْ ..

قالتْ : تَمَسّكْ يا أميري

يا أميرَ الضّوءِ والرّغَباتِ

أنتَ فَضاءُ مَنْ أهْوى

وأكْبرُ منْ فضائي

حين جرْحي طائرٌ

يأتي إليكَ معَ السّحَرْ ...

فغَداً سيحْملُنا الْمَطَرْ

وغداً سيحْملُنا الْمَطَرْ ...

*   *   *

أطفال غزة

واللهِ

والزَّيتونْ

ودهْشةِ الطَّيّونْ

وبيتِنا الخالي ...

ستشْهدُ الأرواحْ

بُسْتانَنا العالي ...

إنَّا نَهزُّ الليلْ

ليلْثمَ الصَّباحْ

شهيدَنا الغالي ...

* * *

نامَ الفَتَى الْمَليحْ

نامَ الفَتَى الْجَريحْ ...

كمْ نامَ واسْتراحْ ؟ !...

بَسْمتُهُ

مِنْ فضَّةٍ

ونومُهُ أَقاحْ ...

* * *

مضيتُ في الغُبارْ

يلفّنِي الرَّدى ...

كورْدةٍ مِنْ نَارْ

أمْشي إلى الْمَدى ...

*　*　*

مضيتُ صوبَ البَيتْ

لا بَيْتَ

لا جدارْ ...

كأنّني نَسيتْ

الأهْلَ والجوارْ

غفَوتُ في تَعْويذتِي

كي أُبْصرَ النَّهارْ ...

*　*　*

وأقبلَ الظَّلامْ

لكنَّني رأيتْ :

في محْنتِي الشَّجَرْ ...

يدورُ كلّ لَحْظةٍ

ويلْثمُ الحَجَرْ ...

سأَلْتُ ألفَ مرّةٍ

هَلْ يُقبلُ القَمَرْ ؟...

لكنَّنِي غفَوتْ

يحيطُنِي الغَمَامْ ...

* * *

أنا الذي

حلمْتُ بالْحَمَامْ ...

رسَمْتُ بَاباً مُزْهراً

ليدْخلَ السّلامْ ...

لكنَّنِي ،

مُحاصرٌ

مُحاصرٌ

بالرّيحِ

والرّكامْ ! ...

* * *

مفاتيح الليل

- قصائد قصيرة –

مفاتيح

وللْقلْبِ مفاتيحْ أغان

تحْفظْها الرّيحُ،

ويَحْضنُها البُسْتانْ ...

للْقلْبِ إذا انْطفأتْ

أزْرارُ الورْدِ

وغابتْ

أسْرارُ الضَّوءِ

مفاتيحُ أمَانْ ...

رَحْبٌ هذا الكونُ

ويُشْبهُ قلْباً طَارَ

جَناحاهُ الغبْطةُ

والأشْجانْ ...

رَحْبٌ

كعيون عاشقةٍ

وفسيحٌ

كالنَّهْرِ الغارقِ في التّيهِ

يسيرُ ويرْقصُ

في العشْبِ الغافي

والتّوَهانْ ...

للقلْبِ بيوتٌ

مِنْ ذَهَبٍ

وأغانٍ حالِمَةٍ

يَسْكُنُها الإنْسانْ ...

*   *   *

الموسيقا

مَنْ يَقطعُ في الرّوح العَطْشى

وتَراً،

أو يَجْعلُ غصْناً

يُورقُ بالألْحَانْ ؟ ! ...

مِنْ نَغَمٍ يلْمسُهُ الصَّمْتُ

وصَوتٍ كجناحِ الرّقّةِ

مرْتعشٍ

بين الفَرْحةِ

والأَحْزانْ ...

موسيقا ،

كهِلالٍ

كَحّلَ جفْنَ الليلِ

بنورِ اللهْفةِ والآهاتِ

وزيّنهُ

بشفيفِ التّحْنانْ ...

موسيقا ... ،

كالنَّهْرِ يرقُّ

ويَصْعدُ في نَسْغِ الأزْهارِ

يُبلّلها بندىً

وَيُسقْسقُ بينَ الأُلْفةِ

والْهَيَمَانْ ...

موسيقا ...

تُشْبهُ روحَ الشّاعرِ ،

حُزْنَ الشّاعرِ

والنَّايِ

إذا ماتَ النّورُ

وغَطّى الرّوحَ

الطّوفانْ ...

موسيقا ...

تعْزفها الرّيحُ

وأجْنحةُ البَجَعِ الفتّانْ!

* * *

النهر

الأَغانِيْ

على ضفَّةِ النَّهْرِ

بوحُ القَصَبْ ...

والطّيورُ

إذا طَيّرَ الْمَاءُ أشْواقَهُ

غرّدتْ

واعْتراها الشَّغَبْ ...

سوسنٌ نائمٌ

فوقَ نَهْرٍ

يذوّبُ في مائِه

قَمَراً

ويُسوّي الْحَصَى لؤْلؤاً ،

والتّرابَ رُطَبْ ...

والْمَدى ،

قلْبُ عاشقة

رسَمَتْ ورْدةً

في شفيفِ الصّباحِ

وفاضتْ على الأرضِ

فَوَّاحةً كنَسيمٍ

يردُّ سيُولَ التَّعَبْ ! ...

وجرى النَّهْرُ

مثْلَ دموعِ الفَتى

صافياً

هادئاً

بينما الشَّمْسُ في الأفْقِ

تَحْصي قناديلَها

وتُعلّقُ في عُنُقِ الليلِ

إسْوارةً

مِنْ ذهَبْ ...

أيَّها النّهْرُ !

لا تبْتعدْ ...

قبْلَ أنْ تنْتهيْ ،

قمَراً

في النّباتِ

و تلويحةً

مِنْ لَهَبْ ...

أيّها النَّهْرُ !

لا تبْتعدْ ...

واحْملِ القلْبَ

مَرْكبَ ضَوءٍ

لعلَّ الحبيبَ

البعيدَ

اقْترَبْ ! ...

* * *

الليل

اللَيلُ بساطُ الوَجْدِ
وآهاتٌ عَنْ أغْصانِ الأشْجَانِ
تَمِيلْ ...
الليلُ الغامضُ
مثْلُ وشاحِ الأرْواحِ
الوَلْهى ،
وثيابِ البَجَعَاتِ
تُرفْرفُ في ألَقٍ
وتُقاوِمُ هذا السَّيلْ ...
الليلُ الآسرُ

وَرْدةٌ بوحٍ

في بَحْرِ الزُّرْقةِ ،

موجاتٌ

تُرْسلُ حمْلانَ الشّوقِ

وتُطْلقُها

في برّيّةِ لَيلْ ...

يا طبَقَاً

تَحْملهُ الرّيحُ

إلى أزَلٍ

في الكونِ

يَظلُّ يُصاهلُ

كالْخَيلْ ...

ها يُغْمضُ قلْبِي جفْنيهِ

فأدْخلُ في الصَّمْتِ

ولا أُبْصرُ خلْفي

وأمَامي

غيَر العتْمِ الرابضِ

و الأصْداءْ ...

الليلُ كتابٌ

لايقْرؤُهُ أحدٌ ،

عشٌّ

نزلَ الطّائرُ منهُ

وطارْ ...

الليلُ الغامضُ

يا سحْرَ القلْبِ الذّاهلِ !

كُنْ للرّوحِ دِثارْ

كُنْ للرّوحِ دِثارْ ...

*   *   *

غيمة

غيمةٌ

صعَدتْ من فضاءِ النَّخيلِ

وقالتْ :

أنا الْمُقْبلةْ ...

وجرَتْ في السّماءِ

كغزْلانِ لَهْفتِيَ

الذّاهلةْ ...

أومأَ الغيمُ للرّاحلينَ

وقامتْ

إلى فَجْرها

السّنْبلةْ ...

مَطرٌ

مثلُ بَرْقٍ

تُغرّدُهُ بُلْبلةْ ...

أطْرقَ الشّاعرُ الغجريُّ

سهامَ خيالاتِهِ

وامْتطى البَرْقَ

سَطْراً وسيفاً

وقالَ : هُنا

تبْدأُ الزَّلْزلةْ ...

* * *

فرَس

فَرَسٌ ،

ترْمحُ خلْفَ العَتْمِ

وتومضُ

في قلْبِ الغرْبةِ

أغنيةً

وسَحَابْ ...

فرَسٌ

تُشْعلُ في السّرِّ

قناديلَ الدّهْشةِ

تفْتحُ في صَدْرِ

الديجورِ

الأبْوابْ ...

يا فرَسَ الحلْمِ

أراها تأْتي

وتُبعثرُ روحي

عنْقوداً

يَطْفحُ بالنّارِ

فتجْمعهُ حقْلاً

من شغَفِ الأعْشابْ ...

يا فرَسَ الحلْمِ !

هلمّي

وخذي روحي

منْ سكْنتِها

واشْتعلي

كدبيبِ الرّغْبةِ

في جَمْرِ الأحْبابْ ...

*   *   *

مرايا

فتَحَ البَحْرُ مراياهُ الفضيّةَ

فارْتعشَ الْمَاءْ ...

والْمَوجةُ نامَتْ في المرآةِ

وهامَتْ

بين الشاطئ

واللجّةِ

والأمْداءْ ...

والرّوحُ كداليةٍ

تلْحقُ في البحْرِ

مراكبَها الخضْراءْ ...

لكنَّ الرّيحَ تَميلُ

وتكْسرُ موجاتِ البحْرِ

إلى نُتَفٍ خرْساءْ ...

ويظلُّ البحرُ يَمُوجُ

تظلُّ مَراياهُ السّابِحَةُ

الْمَكْسورةُ

تَلْهجُ بالضَّوءِ

وتَبْحثُ عَنْ ضَوضاءْ ...

والرّوحُ تَميلُ

تَميلُ

وتسْكبُ من ماءِ يديها

مَطَراً

للصّحْراءْ ...

* * *

مدار الطفولة ... مدار العاشق

وهلْ كنتُ يوماً هُناكَ ؟

طَليقاً

كغزْلانِ روحيْ

أُمَجّدُ هذا الألَقْ ...

أكنْتُ هُنا أو هُناكَ ؟...

أُلِمُّ بيَاضَكِ زَهْراً

وأمْشي ظلالاً لحرّكِ

أمْشي على جَمْركِ الأُنثويِّ

لأُشْعلَ في داخلي قَمَراً

كالرَّبيعِ

وأصْعَدَ زيتونةً في الشَّفَقْ ...

كبِرْنا كثيراً

لنعْرفَ أنَّ السّنا

يَطْحنُ الصَّخرَ فَجْراً

وأنَّ اللَظى

يَجْعلُ القلْبَ نايأً ...

ولَمَّا ابْتعدْنا قليلاً

شدَونا لحلْمٍ

يُصيّرنا نَخْلةً

في الأعالي ،

وقوساً على قبّةٍ

مِنْ حَبَقْ ...

أحدِّقُ فيَّ أراكِ

كأنّي أرى داخلي

طافحاً بصهيلكِ ،

والخيلَ لَمْ تَبْتعدْ

عَنْ جموحي ...

أهزّكِ بَرْقاً

يَنامُ على فسْحةٍ

في سريري ...

يطيرُ حَمَامُك

لا بدَّ لي مِنْ جنونٍ

غزيرٍ

لأقرأَ ما كنتُ أجْهلُ

مِنْ شَمْسكِ

الْمُسْتحمّةِ

في دهْشَتِي وعَبيري ...

وعينايَ لَمْ تُكْملا

دورةَ الوَرْدِ

حتَّى اكْتملْتُ

وكانتْ يَداكِ

تدورانِ حوليْ :

جناحينِ

كي تَجْمعا غبْطتِي ،

واكْتمالي ...

ولا بدَّ للرّيحِ

أنْ تبْدأ النَّوحَ

حتّى تُبعْثرَ شَعركِ ،

خِيطانَ بَرْقٍ

تُصاعقُ فيَّ الرّحامَ

الذي فاضَ توقاً

وأشْعلَ ماءَ الغَسَقْ ...

ولابدَّ للطّفْلِ

مِنْ شَهْقةٍ

في الأنُوثة

حيثُ يُغنّي النَّهارْ ...

ولابدَّ للطّفْلِ

من لُغة تُشْبهُ الْمَاءَ

تُشْبهُ طيرَ الفَلاةِ

التي هَمْسُهَا

في تغاريدِ روحٍ أليفٍ

يُعانقُها الحلْمُ والْجُلّنارْ ...

كأنّي تنفّسْتُ ضوءَكِ

حتّى استْحلْتُ ضياءً

وسرْتُ بروحي

كأنّي أسيرُ بقلْبٍ

وروحينِ

أُبْصرُ أنّي جمحْتُ

لألْمسَ في السّرِّ ضدّينِ

يأْتلفانِ

ولكنّني غارقٌ بالْمَتاهةِ ...

أُدْركُ أنَّ يديَّ

تزيْحَانِ عنّي بقايا

الرّكامِ

فأفْتحُ للرّيحِ تلْويحةً

للْوداعِ

وتلويحةً ،

للطيّورِ التي كنتُها

في مَهبِّ العَبَقْ ! ...

مَراياكِ اِسْطورةٌ

لأرى ما تُحبّينَ فيَّ
أرى غيْمةً في الطّريقِ
تلمُّ الزّنابقَ خَلْفكِ
أُبْصرُ شَمْسَكِ وهَّاجةً
في دمائي ...
تذكّرْتُ أنّي شَريدٌ
ومَنْفايَ بريّتِي
وسَمَائي ...
وأنّي اشْتعالُكِ
إنْ غبْتُ في التّيهِ
شوقاً ...
وأنّي حضورُكِ

إنْ غبْتِ في الحلْمِ

دَهْراً

أنا رعْشةُ الطّيرِ

في صَدْركِ الْمُشْتهى ،

وتغريدُهُ الْمَرْمريُّ

يُسامرُ روحَكِ

حتّى الصّباحْ ...

أنا ما أُحِبُّ مِنَ النّارِ

أنْ تَمْسحَ النَّومَ

عَنْ وجْهكِ الدائريِّ

يُطلُّ على داخلي مثْلَ شَمْسٍ

تلفُّ عليَّ السّماءَ كشَالٍ

لتَتْركَنِي شاعراً

أنْجبتْهُ الرّياحْ ...

أحدّقُ فيكِ ... أرانِي أهيمُ

وما كنْتِ خارجَ روحي

لأبْحَثَ عنْكِ ...

وما كنْتِ أبْعدَ مِنْ

زهْرةِ القلْبِ

كي أتْبعَ الضَّوءَ

مثلَ الفراشةِ

شَوقاً إليكِ ...

أهيمُ ...

وأبْحثُ فيَّ مِراراً

لعلَّ الذي فيَّ

يَصْعقُنِي في حَنينِي

ويرْمي بروحي صريعاً

أمامَ بروقكِ

إنّي أهيمُ

ولا ضوءَ لي كي أراكِ

سواكِ ...

ولا ضوءَ فيَّ

سوى ما بَعْثرتْهُ يَداكِ ...

كأنّي صَريعُ هوايَ ،

جَريحُ هَواكِ ...

وما أعْذبَ اليومَ هذا الْمَتاهَ

الذي بينَنا ؟...

وما أكْثرَ النّارَ والْمَاءَ

في صُبْحِنا؟! ...

وما أجْملَ الآنَ هذا البَريقَ

الذي ليسَ يوصلُنا نَحْوَنا ؟! ...

حَسْبنا أنْ نضيءَ الطّريقَ

الذي لَمَّنا

في الْمَساءِ

وما زالَ فينا يُغذِّي الْمَدى

بالطّيُوبْ ...

كأنّا ثمَارُ النَّدى

في القُلوبْ ...

كأنّا على السّفْحِ وَرْدٌ

يُفتّحُ أشْواقَهُ رَحْبةً

في فَضاءِ الغُرُوبْ ...

*   *   *

بوح

سُفنٌ تَهيمُ

ومرْكبٌ يَترنّحُ ...

والْموجُ مرآةُ القلوبِ ،

زفيرُها

ونشيدُها إذْ تَمْرحُ ...

والشَّطُّ مُبْتعدٌ

كجرْحٍ نافرٍ

والنّارُ في آهاتِنا تتوضَّحُ ...

لا شَطَّ يأْخذُنِي إلَيَّ

ولا سفائنَ للْعبورِ

فأينَ تأْخذُنِي الدّروبُ ؟

كأنّنِي الْمَصْلوبُ

في مائي ،

وماءِ البَحْرِ ...

والأشواقُ كالغزْلانِ

في سَفْحِ الْمَعانِي تَسْرحُ ...

وأُصارعُ الوَجْدَ الذي

يَجْتاحُنِي

ويَشقُّ بابَ الرّوحِ

كي تَهْوي

إلى الأعْماقِ

لا فَجْرٌ أعلّقُهُ على جرْحي

ولا قَمرٌ لأُشْعلَهُ

على الشّرفاتِ

إنْ غادرْتُ أمْواجي

وكانَ الشّوقُ غَيْماً ينْضحُ ...

* * *

زَبدٌ ،

تَرامَحَ في الْمَدى

واللَيلُ ملْحُ ...

زبدٌ ،

ليغْسلَ روحَكِ الجذْلى

ويشْعلَها بلونِ الورْدِ

إنْ نامتْ

على موجِ الْمَساءِ

وهزَّها وَجْدُ التَّلاقي

دونَما وَعْدٍ

كأنّكِ في احْتدامِ الْمَاءِ

رمْحُ ...

الشّمسُ تصْعدُ مِنْ يديكِ

وخَلْفكِ الرَّقَصَاتُ ،

حُوريَّاتُ بَحْرٍ

تعْزفُ الأنْغامَ

ترْفعُها كأطْيارٍ

وتُرْسلُها كأقْمارٍ

ووَجْهُكِ في الْمَدى الْمَائيِّ سَفْحُ ...

فلْترْتدي موجي

عباءَةَ أنْجمٍ

ولْتسْطعي في داخلي

نوَّارةً

فالنّورُ أشْرقَ في دمي

والنّورُ جرْحُ ...

وكأنّني شَفَقٌ

تَقَاذفهُ العَمَاءُ

سَنَىً

وأَنْتِ على بَياضِ الْمَوجِ

صبْحُ ...

* * *

أغنية الجبال

لوَجْهٍ أطلَّ

مِنَ الرّيحِ

عندَ الْمَغيبِ

وقالَ : أُحبُّكْ ...

وروحي سراجٌ

على راحتيكَ

وقلْبيَ قلبُكْ ...

أمدُّ مع الآهِ

ليلاً مُوشَّى

بِحُزْنِ الخريفِ

وأصْرخُ : دَرْبِي إلى النُّورِ

دَرْبُكْ ...

أمدُّ ضلوعي

مراكبَ شوقٍ

تلمُّ هواكَ ...

وصوتِي الذي

تَرَكَ النَّومَ

في النَّومِ

كي يَتْبَعَكْ ...

وإِنِّي تَعَطَّرْتُ بالنَّارِ

كي أتَّقي ،

شعْلةً مِنْ لَظَاكَ

وأدْفعَ عنْ داخلي

مَصْرَعَكْ ...

أمدُّ جرُوحي

لعلَّ جروحي التي

كنْتَ أكْثرْتَها بغيابِكَ

تُمْسي ،

تدُقُ بتَغْريدِها

مَسْمَعَكْ ...

* * *

وإنّي أميلُ

مع النَّسْمةِ الْمُسْتحمَّةِ بالضَّوءِ

أنّى تَميلُ

وتَحْملُ وَرْدَ الجبالِ

إلى سفْحِ فَجْرِكْ ...

أعبُّ عبيرَ الينابيعِ

أرْقصُ حتّى أشفَّ

وأعْلقَ بعْضَ أريجٍ بِجَمْرِكْ ...

يَهيجُ دمي كالطّيورِ

إذا غرّدَتْ

وأطيرُ بشوقيَ مثْلَ الْحَمامةِ

تكْرجُ

في زَهْرِ صدرِكْ ...

أَلُمٌّ هَواكَ

كأنّي نسيمٌ يهبُّ عليكَ

ويحميكَ

مِنْ شَمْسِ آبَ

وحَرِّكْ ...

أكانَ الذي بينَنا

مَحْضَ حُبٍّ ؟ ...

وكنْتُ أنا موجةً

في أعالي الجبالِ

تتوقُ إلى شَطٍّ بَحْرِكْ ؟ ! ...

*   *   *

وحيداً أظلُّ

كسَيْفٍ مُعلّقْ ...،

كداليةٍ

تَحْتَ سقْفِ السّماءِ

عناقيدُها الْحُمْرُ

تَشْهقْ ...

كأنّي نَسيمٌ

ولبْلابُ طيفٍ

على قامةِ النّورِ

تَعْلقْ ...

أنا عشْبةٌ

في اخْضرارِ يديكَ

فخذْنِي إلى فَرِسٍ

في النَّهارِ البعيدِ

لأُبْصرَ في داخلي طائراً

مثْلَ قلْبِي تَمزَّقْ ...

* * *

وجاءَ الغزاةُ

وكنتُ وحيداً

على صَخْرةٍ مِنْ أساكَ ،

أسَايَ

كرمْحٍ مُحدَّبْ ...

وجرْحيَ نَهْرٌ

وجُرحُكَ ملْحٌ

وروحيْ

على الأفْقِ

رمَّانةٌ للْغروبِ الْمُعَذَّبْ ...

ألا أيُّها النَّومُ خُذْنِي

لأحْلمَ أنّي شُفيتُ

ولَمْ أتغرَّبْ ! ...

* * *

وما أجْملَ النّومَ

فوقَ الجبالِ

قريباً مِنَ اللهِ

لولا بُكائي

على وَجْهِ أُمِّي ...

ولولا جروحي التي

لَمْ تَصِرْ طائراً

أو شقائقَ هيْمانةً

فوقَ هَمِّي ...

ولولا الخريفُ الذي

مرَّ وَمْضاً

ولفَّ دمي بالغيابِ ...

ولولا ...

صَباحاتُ (ريْمَا) التي

تدْهنُ الخبْزَ بالزّيتِ

والبامياءِ

وتعْطي الجنونَ جَمالاً

كسفْحِ الرِّغابِ ...

ولولا أبِي غارقٌ

في أسَاهُ ،

وأُمِّي تَخيطُ الثّيابَ

على ركْبتيها

تُسرِّحُ في الأُفْقِ

عينين ِمِنْ عَسَلٍ

وتسابيحُهَا

عَذْبةُ البَسْملاتِ ...

أرى جَدَّتِي ،

يَنْقرُ الأرْضَ عكَّازُها

وهْيَ تُسْندُ قامتَها

تَحْتَ ظلِّ الجدارِ

وتَفْتحُ سجَّادةً للصَّلاةِ ...

فأخْرجُ مِنْ فسْحةِ الدّارِ

يومي ورائي

وقَهْري أمَامي ...

كفى ...

أيُّها النّومُ خذْنِي

فلا أسْتطيعُ الْمُكوثَ طويلاً

على فَرَسِ الصَّحْوِ

أخْشى هيَامي ...

وأخْشى الطّيورَ التي

رافقتْنِي

وغطّتْ برقَّتِها مهْجتِي

واحْتدامِي ...

ألا أيُّها النّومُ خذْنِي

لأُبْصرَ في الحلْمِ

أكْثرَ ممَّا رأيتُ ...

وأُبْصرَ نورَ السَّمَاءِ

يُنيرُ غَمَامِي ...

أنا عاشقٌ ما انْطفأتُ

وقلْبي صَلاةٌ

على قَدِّ نَعْشي

ونَعْشيَ ما كنْتُ فيهِ

وما متُّ يوماً

لكي تدْفنونِي ...

وما كنتُ حيّاً كمَا يَنْبغي

كي أرى ورْدَ عاشقتِي

في عيونِي ...

ولكنّنِي كالغَريقِ

ألوذُ بشَالٍ مِنَ الغَيْمِ

يُشْبهُ أُمّي

ويُشْبهُ صَفْصافَةً

في حَنينِي ...

* * *

وجاءَ الغزاةُ ،

وقالوا : هُنا

سوفَ تَبْقى

وتَكْبَرْ ...

تَرى ما نَرى

غيرَ أنّي عُميتُ

و لمْ أُبْصرِ الدّرْبَ

أخْضَرْ ...

وقالوا : تعالَ

وطِرْ في الأعالي

وكانَ جَناحايَ مِنْ حَطَبٍ

والسّنا في عيونِي

تكَسَّرْ ....

وقَعْتُ ،

وَلَمْ أبْصرِ الضَّوءَ بَعْدُ

وقلْبِي تعَثَّرْ ...

ألا أيُّها النّومُ ! ...

خذْنِي بَعيداً

لأحْلمَ إنّي رأيتُ ،

وَلَمْ أتبَعْثَرْ ...

* * *

n

الصفحة

الصفحة

محمد وحيد علي

- شاعر وكاتب عربي سوري .
- عضو اتحاد الكتاب العرب .
- عضو هيئة تحرير أسامة .
- حائز على جوائز عربية عديدة .

* صدرت له دواوين شعرية للكبار منها :

سماء من بجع - وزارة الثقافة ١٩٩٦.

ضياء الحالم - اتحاد الكتاب العرب ٢٠٠٨.

* ودواوين شعرية للأطفال منها:

أميرة الضياء - وزارة الثقافة ١٩٩٦.

أحلام مضيئة - وزارة الثقافة ٢٠٠٦.

فراشة وأمنية - وزارة الثقافة ٢٠٠٧ .

الطبعة الأولى / ٢٠١٠
عدد الطبع ١٠٠٠نسخة



أعلى من شجر القلب: سربٌ من القصائد المحلّقة بأجنحة الشعر والرؤية الإيحائية العميقة.. حيث الإيقاع الصافي، المتنوّع، والمتداخل مع تموّجات النفس الإنسانيّة.. عبر صور وأخيلة تبتكرُ عالمها الطافح بجماليات الوجد الشعري الشفّاف..

المعاني مفتوحة على أقصاها التعبيريّ، وهي تنهل من ينابيع الحياة والطبيعة صدقها ورحابتها.. عبر ثلاثة محاور:

الطفولة، الحبُ، الحلم..

ديوان يطفح بخصوصيته الشعريّة والفنية، ويشكل إضافة جديدة غنيّة إلى مسيرة الشاعر.

الهيئة العامة السورية للكتاب
The Syrian General Organization of Books

www.syrbook.gov.sy

مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٠

سعر النسخة ٧٠ ل.س أو ما يعادلها